لغة الضاد في تراث المفتي العبيدي[١]

محمد توفيق الفخري

المستخلص

بالعودة إلى المعجم العربي نجد ان دلالتها في اللغة تدل على معنى تمايز الاشياء من بعضها البعض وهذا يحقق مفهوم الابانة، قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): "الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تميز الشيء من الشيء وابانته عنه، يقال: فصلت الشيء فصلاً، والفصيل: الحكم، وذكر ابن منظور (ت ٧١١ هـ) معاني اخرى تدل على البون بين الشيئين والحجز فقال:"الفصل: بون بين شيئين... الفصل: الحاجز بين شيئين فصل بينهما بفصل فاصل فانفصل... والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام إذاً الفاصلة لا خلاف انها اخر كلمة في الاية، فهي بهذا تكون ارقى من القافية في الشعر، واجمل من السجع في الكلام "ولا يجوز تسميتها قوافي اجماعا لان الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه ايضاً لانها منه، وخاصة به في الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر لانها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه.

المقدمة:

ان لبناء أي نهضة حضارية والحفاظ عليها متطلبات لنجاحها وديمومتها وأولها التفتيش عن أسس رصينة يمكن البناء عليها وأول الأسس للحفاظ على اللغة العربية وصيانتها من التغريب هو إتقان ما جاء في القرآن الكريم من آيات محكمات وضبط معاني مفرداتها وإعرابها وما ورد على لسان النبي العربي القريشي من أحاديث شريفة وهو العربي الأصيل الذي تعلم اللغة العربية في البادية ومن أفواه بني قومه قريش بلغتهم ولهجتهم الصحيحة، ثم البناء على ما أسسه أئمة هذا الدين من الذين أتقنوا اللغة العربية قبل قيامهم بتفسير آيات القرآن الكريم وجمعهم للصحاح من الأحاديث النبوية الشريفة وتحقيقها. ان للغة العربية صلة وثيقة في الدين الإسلامي فهي لغة القرآن الكريم والحديث وأداة التحدي والإعجاز ولسان الدعوة والخلافة والعناية بها عناية بكلام الله والتعصب لها تعصب للغة الرسول الكريم لذلك وضع العلماء علم النحو والصرف ورسموا النقط والشكل واستنبطوا المعاني والبيان[٢] ولهذا اهتم العرب وغيرهم بتدريس اللغة العربية لطالبي العلوم الدينية جنباً إلى

---

[١] المفتي العبيدي: هو محمد حبيب بن سليمان العبيدي مفتي الموصل والشاعر والأديب.

[٢] كتاب شرح متن قطر الندى وبلّ الصدى ص٥.

جنب مع تحفيظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وعلوم الفقه والعقائد وقد حرصت مدارس الموصل وكتاتيبها القديمة وشيوخها على اتباع هذا المنهج وكان له الأثر الواضح في تخريج علماء أعلام في علوم اللغة مع تضلعهم في العلوم الدينية مما يؤهل أياً منهم تدريس علوم اللغة مع إمكانيته تدريس العلوم الدينية الأخرى واذكر هنا أسماء بعض الأعلام على سبيل المثال وليس الحصر وهم (إبراهيم بن عبد الرزاق الرسعني)و (إبراهيم الجحيش) وأستاذه (موسى الحدادي) و (خليل البصير) و (محمود الفخري(أمين الفتوى)) وولديه (احمد ومحمود)و (الملا علي الحصيري)و (عبد الوهاب الجوادي) وولده (احمد) والشيخ (محمد الرضواني) و(المفتي العبيدي) والشيخ (محمد ياسين السنجاري) وغيرهم كثير (وفيهم البركة). وقد اشاد ابن خلدون منذ القدم بطريقة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر (عثمان بن جني) واتبعوا مصطلح تعليمه في معرض كلامه عن ابن هشام النحوي.

مراحل دراسة المفتي العبيدي:

لغرض الوقوف على الأسس التي بنى العبيدي إمكاناته الدينية والأدبية والعلمية والثقافية علينا ان ندرس تاريخ نشأته، فقد نشأ في بيت علم وتقوى فوالده السيد سليمان العبيدي درس العلوم الدينية والأدبية على علماء عصره ومنهم (الملا علي الحصيري) واعتنى بتدريس أبنائه (محمد حسيب و محمد حبيب) وتنشئاتهما نشأة دينية وعلمية وحين بلغ محمد حبيب السابعة من عمره دخل الكتّاب وفي الثامنة من عمره دخل المدرسة الرسمية(المكتب الرشدي) حيث كانت الدراسة فيها (خمسة سنوات) وتشمل مبادئ اللغات (العربية، التركية، والفارسية، والخط والإملاء والنحو والصرف لكل هذه اللغات إضافة إلى علوم الهيئة والهندسة والحساب والجغرافية) وقد أكمل الدراسة فيها بأربعة سنوات لشدة ذكائه وقوة حافظته ونال شهادة التخرج بدرجة (العلي الأعلى) وبعد إنهائه الدراسة في هذه المدرسة عهد به والده للدراسة لدى أستاذه الحصيري للتوسع في تدريسه علوم اللغة العربية فدرس عليه علم النحو وأكمله بسنة واحدة وشرح قطر الندى وبَلِّ الصدى وألفية ابن مالك وعمل خلال هذه الفترة في التأليف فشرح (متن قطر الندى) ولم يتجاوز الرابعة عشر من عمره وفي هذه الأثناء توفي أستاذه الحصيري فألحقه والده بالدراسة لدى أشهر علماء عصره فدرس علوم اللغة العربية والأدب على (السيد احمد محمود الفخري)[١] كما درس علوم الدين والشريعة من فقه وتفسير وحديث وعلوم المنطق والبيان وفن المناظرة على شقيق المذكور آنفاً (محمد محمود الفخري)[٢] وهنا

[١]) احمد محمود الفخري: قاضي ووزير العدلية وعضو المجلس التأسيسي وعضو مجلس الأعيان.

[٢]) محمد محمود الفخري: تضلع بالعلوم العقلية والنقلية ودرس الحقوق.

أكمل العبيدي شرح متن قطر الندى وعرضه على أستاذه (احمد الفخري) الذي أعجب بالشرح مما دعاه الى كتابة بيتين مقرظاً له فقال:

لله در حبيـــــب اذ أجـــــاب نـــــدا قطـرُ النـدى وهـو طفـلٌ أعجـز البلغـا
جـــلا لنـــا مـــن هـــداه كـــل معضـــلة كأنـــه البـــدر مـــن أفـــق الهـــدى بزغـــا

كما ألف العبيدي في هذه الفترة متناً جامعاً في فن المناظرة وحاشية على شرح المسعودي.
استمر العبيدي على الدراسة وأكملها في أربعة سنوات وأجيز في كل العلوم الآلية والدينية والأدبية وأعطي لقب (محب الدين).

لقد كان لنشأة العبيدي في بيت نعمة وثراء وعلم الأثر الكبير في نشأته وتفرغه للحصول على العلوم فوالده رجل ثري يملك العقارات والقرى وبعد وفاة والده ورث العبيدي هذه الثروة مع بقية عائلته الصغيرة المؤلفة من والدته وشقيقه وشقيقته[١] مما وفر له امكانية السفر مبكراً الى خارج العراق والانطلاق من عالم الموصل المحدود والمتقوقع الى عالم العلوم والمعارف الأوسع فقد بدأ أسفاره سنة (١٩١٠م) متوجهاً الى (حلب وطرابلس الشام، وحمص ودمشق ثم الى بيروت سنة ١٩١١م) ورابه ماكانت العروبة تكابده من ظروف قاسية تحاول اماتة ذاتها والقضاء عليها مما أثر ذلك في نفسيته وأسهم في التصدي لتلك الرياح الصفراء من خلال شعره ومقالاته التي نشرها في الصحف السورية والبيروتية ثم سافر الى اسطنبول وكان لاتقانه اللغة التركية فائدة عظيمة حيث أطلع هناك على ما يزيد على (٢٥٠ كتاباً) مترجماً من اللغات الأوربية الى اللغة التركية وماكانت ممنوعة ابان حكم السلطان عبد الحميد مما وسع اطلاعه على الثقافات الأخرى وهذا ما لم يتح للكثير من المثقفين في ذلك العصر، وبدأ بتأليف الكتب ونشر المقالات في الصحف[٢] والقى الخطب في المنتديات بل انه ادار دفة المنتدى الأدبي العربي في اسطنبول وعلى الرغم من تأليفه لبعض الكتب باللغة التركية[٣] ونظمه الشعر بهذه اللغة الا انه مع هذا حافظ في ادبياته لكن يبقى لصيقاً بالتراث وذلك من منطلق انتمائه الديني والقومي وحرصه على ان تبقى لغته قريبة من منبع

[١] شقيقة العبيدي هي زوجة الحاج امين بك الجليلي والد الدكتور عبدالرحمن والدكتور محمود والدكتور نعمان والدكتور عبد الله ومحمد بك الجليلي.
[٢] نشر في صحيفة المفيد والحضارة والرأي.
[٣] كتاب بايتختده نطقلرم وفروق المدنية وخطبة نادي الشرق وفلسفة التاريخ الاسلامي ودور التجدد وغيرها من المقالات.

الأصل وكان يردد امامي ان الشعراء الأتراك كانوا يسألونه ان كان ينظم باللغة العربية بنفس متانة نظمه باللغة التركية فيجيبهم بما معناه ان اللغة العربية هي التي تعلمها مع حليب أمه اضافة الى انها لغة القرآن الكريم ونبيه العظيم في أحاديثه الشريفة وقد اصدر في هذه المدة كتباً قيمة باللغة العربية هي:

١. خطبة نادي الشرق ارسل لطبعه في مطبعة سرسم في الموصل سنة ١٩١٣.
٢. جنايات الانكليز على البشر عامة وعلى المسلمين خاصة طبعه في بيروت سنة ١٩١٦ (١٦٠ صفحة) حجم متوسط.
٣. حبل الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الإسلام طبعه في بيروت سنة ١٩١٦ يتألف من (١٦٠ صفحة) حجم متوسط
٤. فلسفة التاريخ الإسلامي ودور التجدد(ترجمه الى العربية).

وفي هذه المدة خصص جزءاً من وقته لدراسة التوراة والانجيل وكعادته في الدراسة فقد عمد الى دراستهما دراسة تحليلية مقارنة مع القرآن الكريم وكوّن له رأياً يختلف عن اراء من درسهما سابقاً.

عاد العبيدي الى الموصل سنة ١٩١٩م بعد غياب عنها مدة عشرة سنوات ونستطيع القول ان هذه الفترة تعد جزءاً من فترة دراسته لما اطلع عليه من أفكار العلماء الاوربيين وآراءهم وتجربته بتأليف كتبه المنوه عنها وما حازه من تجارب من خلال الأحداث الجسام التي مرت به ومنها ما فيه من الخطورة العالية كانتدابه مع وفد العلماء من سوريا سنة ١٩١٤ للذهاب الى جبهة القتال في (الدردنيل) ثم تطوعه في حملة الزحف مروراً بالقدس الشريف على قناة السويس سنة ١٩١٥ [١] وقيام الدولة الهاشمية في الشام بقيادة الأمير فيصل بن الحسين ثم اسقاطها على يد الفرنسيين وقيام القوات الانكليزية بأسره في بيروت سنة ١٩١٩م وارساله الى مصر وبقائه في معتقلاتها ثم نقله الى الهند ثم عودته الى البصرة بعد اطلاق سراحه ثم وصوله الى الموصل وهي محتلة من قبل الانكليز وقد تنادى بعض علماء الموصل خوفاً من الغزو الفكري من خلال المدارس الاجنبية والتبشيرية وما سيدخله المحتل من ثقافات الى انشاء المدرسة الإسلامية في الموصل وكان من مؤسسيها السيد (احمد محمود الفخري) و(الشيخ محمد طاهر الفخري) و (حسيب العبيدي) شقيق المترجم له فقام محمد حبيب العبيدي باعادة النظر في مناهجها ووضع لها نظاماً داخلياً مستفيداً مما اطلع عليه في

[١]) سماها العبيدي بحملة (الاكتشاف والتعرض) حيث اعلن المسلمون الجهاد المقدس وحملوا العلم النبوي ومروا بالقدس الشريف خفاقاً فوق الجيش الاسلامي وكانت وجهته الزحف على (ترعة السويس)

المعاهد المماثلة في بيروت واسطنبول وطالما دبر فيها الحفلات وكتب الخطب لذلك ونظم الاشعار كما ساهم بتأسيس النادي الأدبي سنة ١٩٢١ بادارة احمد الفخري.

اللغة العربية في تراث العبيدي:

على الرغم من ضياع الكثير من مؤلفات العبيدي اثناء اسفاره المتعددة وعدم طبع البعض منها في حينه وعدم اطلاعنا على ما نشره في الصحف خارج العراق الا ان المتوفر من مؤلفاته المطبوعة ورسائله وبرقياته وأوراقه المتناثرة وما كتب عنه من رسائل جامعية وكتب وبحوث تكفي الباحث للوصول الى مبتغاه واذا ما تصفحنا بعض أوراقه[١] نستطيع ان نقول انه قد صاغ نظرية وحدد محددات للوصول الى الادب الملتزم فهو يتحدث عن المفاسد التي دخلت على الأدب وجعلت اهتمام الأدباء بالمبنى دون المعنى حتى غدا ذلك من علائم انحطاط الأمة حيث ان تلك المفاسد أخذت تزيد احداهن الاخرى على التعاقب تشويهاً حتى آل امر الأدب الى ما يستطيع الناقد البصير ان يسميه مسخاً وانما تجتلي صورة الادب في الأديب وانما تتجلى روحه في جثمانه وهذه هي مصيبة الأدب والأدباء في أدوار الأدبار للأمم المنكودة الطالع وأي مصيبة افضع من المسخ والتشويه؟

لقد آل امر الأدب الى القافية اذا كان نثراً والى القيافة اذا كان شعراً ولو جرت القافية الى التعقيد والقيافة الى خلو المبنى من المعنى السديد. ولعل لدينا الحكم بالمثال كما جاء في عبارتنا هذه الزاهية بالقوافي وبشئ من أنواع البديع وهذا كل ما كانت تصبو اليه نفوس الأدباء يتفاخرون به ويتنافسون فيه من كتاب وشعراء قد شغلهم زخرف المباني عن سمو المعاني حتى نظموا (البديعيات) وضعّفوا فيها الشروح واتخذوا منها للأدب سوق عكاظ يساومون على الحق ولا يسألون عما احتواه حتى اضحت بدعة ولم تكن من الابداع في شيء وحجتنا في هذا (ابن حجة) فليرجع الى بديعيته من شاء ولا يذهبن الوهم الى اننا ننكر على السجع طلاوته ولا نتذوق حلاوته اذا جاء عفواً من دون تكلف واننا نجهل ما في انواع البديع من ذوق يكسو الكلام زينة اذا جاءت عرضاً وكان اللفظ خادماً للمعنى لا المعنى خادماً للفظ. وكيف ننكر ذلك او نجهله وها نحن نستعمله وهذا القرآن الكريم كلام الله المثل الاعلى في البلاغة والاعجاز مشحون بالسهل الممتنع من افانين السجع وانواع البديع؟

---

[١]) كافة أوراق العبيدي محفوظة لدي.

ان لانتقاء الأسلوب والمباني الأثر البالغ في تأثير المعاني اذا سما كل منهما من سمائه كالعقد على جيد العذراء يزيدها حسناً اذا كانت حسناء ولا يجديها نفعاً اذا كانت شوهاء. هذا من جهة التصوير والمباني، اما من جهة التصور والمعاني فان للأدب افقاً من الخيال فسيح الأجواء تحلق فيه النسور كما تشاء الا من كان مهيض الجناح وما نسوره غمر الادباء ولكنهم ما برحوا يضيقون واسعاً حتى صاروا الى اضيق من مفحص قطاة واكتفوا من بحار الادب بمصة الوشل بالمدح والهجاء والغزل والرثاء وان شئت فقل حتى وقعوا في هذه الشباك ومن هنا ضاق نطاق الشعور ثم جمدت القرائح وتشابهت الأنفاس حتى كأنما كل اديب يردد صوت الاخر فتمل التكرار ويأخذك الضجر من تجاوب الاصداء، اللهم الا بدعة واحدة حين اراد الأواخر ان يزيدوا على الأوائل الا وهي التغزل بالذكران وانها احدى سيئات عدوى الأعاجم والله يغفر لابي نواس واضرابه تبعة هذا اللقاح، وكأنما كانت هذه الزيادة من الأواخر على ادب الأوائل تعويضاً عما نقصوه من صدق اللهجة وفرط الدقة في تصوير الشعور.

كما أكد المفتي العبيدي على مدى اهتمامه بالحقائق التي هي مطابقة الأفكار للواقع وذلك عن طريق رفضه الصياغات الأدبية الخيالية التي ليس لها واقع يصدقها فينكر على الذين يقولون بأن اعذب الشعر أكذبه ذلك ان الشعر المكذوب عذب عندما يقال من اجل نفسه اي من اجل الشعر اي للتلذذ بخيالات الكلام وأوهامه ولكنه عندما يخدم هدفاً معيناً وغاية مقصودة ويعبر عن أفكار قائله فانه قد لا يكون كذلك فقال في قصيدة امتي..امتي

اقول الشعر لا للشعر لكن عساه ان يخفف من شجوني

الى ان يقول

متى تصحو بلاد من خمار أطال صداعها حيناً لحين؟

على المجد المضاع يطول حزني وما حزني على ماء وطين

وندعه يتكلم عن ذلك اوضح كلام حين اتى ببيت شعر حسان بن ثابت

وان اشعر بيت انت قائله بيت يقال اذا أنشدته صدقا

فيقول العبيدي

يقول المتأخرون في الشعر (اكذبه أعذبه): وهنا نستوقفك ايها القارئ البصير لتنظر الى أي القوانين تطمئن نفسك ويرتاح ضميرك اذا استفتيت قلبك وفتشت أعماق سريرتك، لا ريب ان الصدق خير من الكذب وان الكلمة التي لا تخرج من القلب لا تقع على القلب وان الشعر الكاذب اذا اعطاك شيئاً من

صورة قائله انه كان رجلاً كاذباً فلن يعطيك شيئاً من صورة الحقيقة التي انت الى معرفتها احوج منك الى التذوق بعذوبة الكذب.

ويورد امثلة على ذلك ويقول العبيدي يجد العائمون في تيار الخيال من اللذة مالا يجدها الغائصون على در الحقيقة لذلك كثر عدد اولئك وقل عدد هولاء واذا ركبت قياسك عن مقدمات على الخيال فلا تطمع بنتيجة من غير نوعه وابعد الأمم عن الاعمال أقربهن الى الخيال.

أما بالنسبة الى علم المنطق او كما يسميه المفتي العبيدي بعلم الميزان فقد عرفه بأنه علم يعرف به صحيح الفكر من فاسده والفكر عند المناطقة هو ترتيب أمور معلومة تؤدي الى تحصيل مجهول من الأمور المرتبة الى ما يسمى المقدمات والشكل في اصطلاحهم ما يتركب من مقدمتين الأول تسمى الصغرى والثانية الكبرى والحاصل منهما تسمى بالنتيجة ثم لابد للمقدمات من ان تكون سالمة مسلمة الثبوت لتكون النتيجة صحيحة ومسلمة لدى الخصم والا فالترتيب فاسد والنتيجة غير صحيحة ومع ان العبيدي لا يقدح بعلم المنطق الا ان سلامة تفكيره ودقة انتباهه جعلته يلفت النظر الى ان المنطق فيه قابلية المغالطات والأخطاء وهي التفاتة تقتضي التحذير فهذه هي الصفة التي لا تجعل من المنطق أمين الجانب لاتخاذه أسلوباً في البحث والمناقشة ويجب ان يحل محله اصله الذي انبثق عنه وهو البحث العقلي الذي تعامل مع الحس مباشرة دون الحاجة الى المقدمات والنتائج التي يشترطها الأسلوب المنطقي[1] ويقول العبيدي ان المقدمات الشعرية والسفسطائية من أهم عكاكيز التوكؤ بأيدي مرضى القلوب وباعة الضمير في ترويج الباطل ودفع الحق لذا بحث عنها علم الميزان تنبيهاً وتحذيراً ثم يقول (فعلينا ان نتمسك في ذلك بما جاء به القرآن فأنه وحده الذي يثلج له الصدر ويصدقه القلب ويؤيده الظاهر فهو كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم كبير لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد كما قال تعالى (ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم) وقوله تعالى (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين).

ساهمت عوامل مجتمعة في ترك بصماتها على نتاجات المفتي العبيدي فقد كان لدراسته اللغوية والدينية ودراسته لعلم المنطق والأصول وفن المناظرة واطلاعه على ثقافات الأخرين قد ساهمت مجتمعة في تكوين أسلوبه المتميز وقد عدّ اللغة العربية هي اللغة التي لايمكن الاستغناء عنها في فهم الشريعة وقام بتأويل احاديث ان صحت أوردها في موضوع العرب مثل (اذا ذل العرب ذل الإسلام) ومثل (العرب نور الله في الارض) ويبين المراد منها هو الحفاظ على اللغة التي تحيا

[1]) من كتاب قراءة في فكر المفتي–نبيل حامد خضر.

بها شريعة الرسول(صلى الله عليه وسلم) مادام العرب اعزاء أي احياء وعد القضية العربية جزءاً من القضية الإسلامية[١] وهذا ما هو واضح في كل مؤلفات العبيدي وقصائده فقد ربط بين العروبة والإسلام ونلحظ في ادبه التأثر الواضح بألفاظ القرآن الكريم وتفسيره لمعانيه وهو لم يكتفِ بايراد الألفاظ القرآنية بل عمد الى الاستعانة بالصورة في الاشارة الى الحوادث والأشخاص الذين ذكرهم القرآن الكريم متأسياً بجده (خليل البصير) الذي ادخل الآيات القرآنية في قصائده وأراجيزه فأرجوزته الموسومة (الدرر المنظومة والصرر المختومة) التي أورد فيها (٣١٩) اية قرانية من خلال ابيات الأرجوزة الـ (٣٠٠) بيت في النحو خير دليل على ذلك.

وقد وردت الألفاظ القرآنية والأحاديث الشريفة في شعره ونثره في مواضيع كثيرة وان استخدامه لها كان باعثاً لاهتمامه بالرصانة والجزالة وليزيد عباراته قوة ومتانة وكان في اقتباسه موفقاً في احكام الصلة بين مانظمه وما اقتبسه من حيث الوفاء بالغرض والمحافظة على الأسلوب[٢] والأمثلة كثيرة في شعر العبيدي منها قوله:

أعيرونـــي قلوبـــاً غيـــر غُلـــفٍ ... واذانـــــاً لقـــــولي صـــــافيات

وقولــه: ايهــا الغــرب جئــت شــيئاً فريــا ... مـــا علمنـــا غيـــر الوصـــي وصـــيا

وقولــه: وقــد بلــغ الزبــى ســيل العــوادي ... وكـــان الســـيل مـــن مـــاء معـــين

وأوداجٍ تقطعهـــــــــا ذكـــــــــورٌ ... تحـــز مـــن الوريـــد الـــى الـــوتين

وقولــه: فهــل مــن حكمــة خفيــت علينــا ... لكـــل يـــد بمـــا كســـبت جـــزاء

وقولـــه: ان الـــدنيا لمـــن فيهـــا ســـراباً ... تمثـــل منـــه للضـــمآن مـــاءاً

أما بالنسبة لكتبه ومؤلفاته ورسائله فلا تخلو صفحة من صفحاتها من آية قرانية او حديث نبوي شريف مستعيناً بها في إسناد فكرته او طروحاته.

لغة المفتي العبيدي العربية في ميزان الأخرين:

تناول العديد من الباحثين اللغة العربية لدى المفتي العبيدي وسأعرض ماجاء في طروحاتهم فقد قال روفائيل بطي الكاتب والصحفي المعروف في معرض حديثه عن النثر لدى الشاعر جميل

---

[١]) من كتاب قراءة في فكر الشيخ المفتي محمد حبيب العبيدي –نبيل حامد خضر

[٢]) من رسالة ماجستير تقدم بها خليل ابراهيم السامرائي الموسومة محمد حبيب العبيدي حياته وشعره ص٢٥٧.

صدقي الزهاوي مانصه (هو عندي أكبر كاتب عصري في النثر بعد الاستاذ محمد حبيب العبيدي)[١].

وبعد نشر قصيدة العبيدي التي رثا فيها عبد المحسن السعدون فقد طالبت صحيفة البلاد البغدادية من يعرفون العبيدي بحثه على الخروج من عزلته وخدمة بلاده بما أوتيه من قوة في الفكر وسعة في العلم وبلاغة في اللسان وفصاحة في القلم[٢].

كما أورد السيد (احمد محمد المختار) في جملة ما أورد في ترجمة حياة العبيدي فقال (ولم تمضِ عليه بضع سنين حتى اصبح فقيهاً خبيراً وكاتباً قديراً وخطيباً بليغاً وشاعراً من الرعيل الأول يستهوي القلوب بعذوبة أسلوبه وسلامة ألفاظه ورقة معانيه ويثير الحماسة بحسن تصويره ودقة وصفه وأخذ ينظم للحقيقة التي لامست احساسه لا للظهور وينظم لخير ملته وأمته لا لنفسه ينظم بنفس حساسة وقلب أبي. وأضاف: فهو في شعره متنبي الزمان وبحتري الآوان وفي نثره استاذ للحريري وشيخ لبديع الزمان. وتحدث عن شعره قائلاً: واما شعره فلا يغنيك بعضه عن كله ولا اخره عن اوله وكله يفيض حكمة وحماساً، وندباً بلا يأس وتشاؤماً بلا قنوط ودعوة صارخة وأملاً واستنهاضاً[٣].

أما السيد (خضر العباسي) فقد عدَّ المفتي العبيدي من جملة رواد النهضة الأدبية الحديثة[٤].

أما الاستاذ (عبد الله الجبوري) فقد عده ركناً من أركان النهضة الأدبية الحديثة حيث قال(ومفتي الموصل السيد محمد حبيب العبيدي الذي يعدُ ركناً من اركان النهضة الأدبية الحديثة وعموداً من أعمدة الأدب في العراق العربي فهو شاعر ناثرٌ ذو أسلوب في النثر اختص به[٥].

أما المرحوم (سعيد الديوه جي) فقد قال (وقد وهب شاعرنا ملكات الحديث ما تشد سامعيه الى الاصغاء اليه لمدة طويلة دون ان يخالطه ملل او سأم لما يستشهد في حديثه من أمثلة متنوعة من الواقع يسندها بحجج قوية وبراهين ساطعة بأسلوب بليغ بعيد عن التكلف[٦].

أما المرحوم بشير الصقال فقد قال عن اداب العبيدي في كلمة التأبين التي ألقاها عند دفنه (لقد كان العلامة العبيدي فذاً من أفذاذ العصر في علوم الشرع واللغة وامتاز بتبحره في لغة الضاد فكان له

---

[١] روفائيل بطي:المطبعة الرحمانية،مصر سنة ,١٩٢٢

[٢] صحيفة البلاد العدد (٣١) في ١٠ كانون الثاني ١٩٢٩.

[٣] علماء الموصل الجزء الثاني ص,٥٠

[٤] شعر الثورة العراقية –خضر العباسي ص١٠٢

[٥] عبد الله الجبوري نقد وتعريف مطبعة المعارف بغداد طبعة سنة ١٩٦٢.

[٦] مقابلة شخصية للطالب (خليل ابراهيم السامرائي) مع الديوه جي سنة ١٩٨٤ –رسالة ماجستير

القدح المعلى في فنونها وقواعدها ونظم الشعر الرائع الذي كان له الأثر الكبير في نفوس المواطنين[١].

أما السيد خليل ابراهيم السامرائي فيقول (ان العبيدي في اكثر مؤلفاته يتبع منهجاً منظماً في الكتابة تنظوي موضوعاتها تحت فصول مرتبة ترتيباً تبرز من خلاله الفكرة المقصودة) ومن خلال مناقشته لكتاب العبيدي (النواة في حقول الحياة) قال السامرائي (لقد ضم هذا الكتاب اراؤه في مختلف نواحي الحياة ولعل عنوانه خير دليل على ذهن العبيدي وعقليته وسعة ثقافته وغزارتها في مختلف العلوم التي سبكها في ثنايا كتابه بأسلوب موجز ودقة في التعبير ومتانة في اللغة وعمق في التفكير).

ثم قال في مناقشته لقصيدته (على مسرح الدهر ماذا رأيت): (ان الاطالة لا تكون دائماً حجة للشاعر على شاعريته بل تكون في كثير من الأحيان حجة عليه فقد يفخر الشاعر من بيان ثقافته واستعراض امكاناته الشعرية فيعمد الى الاطالة ليوحي للقارئ بأن له من طول النفس ما ليس لغيره من الشعراء وان مخزونه اللغوي يشفع له في ايراد الكلمات والقوافي المناسبة) واشار الى ان العبيدي اكثر من المحسنات اللفظية والمعنوية فقد اكثر في قصائده من الجناس والطباق والاقتباس من الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف وشيء من التضمين والتورية.

أما كوركيس عواد فقد اعجب بقصيدة العبيدي أعلاه وسماها (الملحمة العربية)[٢].

أما السيد نبيل حامد خضر في كتابه الموسوم (قراءة في فكر الشيخ المفتي) فقد توسع في بحثه وجاء بنتائج ما يهمنا منها هو مايختص باللغة فقد قال (انه شاعر ولكنه ليس من الذين يهيمون في كل الوديان ولا من الذين يغنون على كل الأغصان وماشعره الا ترجمة لأفكاره وآرائه ومعاناته في الحياة فهو شاعر الأفكار لا شاعر العواطف والأهواء وهو شاعر الشرع في فقهه وسياسته وشاعر الخلافة الإسلامية في حضورها وغيابها. وذكرنا بموقف العبيدي من الشاعر احمد شوقي بعد فشل مؤتمر الخلافة المنعقد في القاهرة سنة ١٩٢٦ والتي حضرها العبيدي ممثلاً للعراق وبيت الشعر الذي يقول فيه العبيدي لشوقي:

في كل وادٍ همت غير مدافعٍ هلا تركت لأهله ذا الوادي؟

كما قال (ان اهتمام العبيدي بالتفكير جعله يهتم بمعاني الألفاظ في النصوص التي يقرؤها وان كان لا يهمل الألفاظ والتراكيب الا ان توجهه الفكري جعله دائم الحرص على ان يختار اللفظ المناسب لأداء المعنى المناسب ويردّ او يصوب ما يخالف ذلك وهذا ما هو واضح في كتابه (الميزان بين

---

[١] رسالة الماجستير للسامرائي

[٢] معجم المؤلفين العراقيين مطبعة الارشاد سنة ١٩٦٦ مجلد ٣ ص ١٣٢

الكفر والايمان) الذي رد فيه على كتاب الرصافي (رسائل التعليقات) في تحليل كلمتي (واقعة) و (خيالية) كما ان تدقيقه بمعاني الألفاظ جعله من المهتمين في أسلوبه وتعبيره عن آرائه بالمعاني لا بالألفاظ ويعد الأسلوب الصحيح في التعبير هو ما كان اللفظ فيه خادماً للمعنى).

الخاتمة:

ما أردت الوصول اليه من تقديم بحثي المتواضع هذا هو ان الفت انتباه الأساتذة الأفاضل من المختصين باللغة العربية بتسليط الضوء على مؤلفات العبيدي التي لم يتعمق الباحثون الذين تناولوه بالبحث بما يكفي (فقصيدته على مسرح الدهر) ماذا رأيت لم تحقق بالكامل لضياع البعض منها وما وجدته منها يحتاج الى تدقيق من المختصين وكذلك رسائله وبرقياته وأوراقه المتناثرة ودفاتر مسوداته كما لدي دواوين شعر ومقطوعات نثرية لشيوخ اجلاء من علماء الموصل وأدبائها وحفاظاً على اللغة العربية وادابها وتصدياً للرياح المغبرة القادمة من الشرق ومن الغرب علينا ان نأخذ هذه اللغة من منابعها الأصيلة الصافية وعلينا ان نتعاون لنشر وتحقيق تراث شيوخنا وبهذه المناسبة اتقدم بطلبي للانتساب لناديكم المنيف (نادي عثمان بن جني) كمنقب اثار ادبية ولاقدم لكم ما أحوز عليه من الأثار الأدبية المبينة في الملحق المرفق بالبحث مساهمة مني في احياء التراث الأدبي لهذه المدينة العريقة كما اتقدم باسمكم جميعاً بطلب التماس من العوائل الكريمة العريقة في الموصل لكي تساهم في تقديم ما لديها من المخطوطات الادبية لدراستها والتعريف بها خدمة لتراث هذا البلد العريق والله الموفق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصـادر

١. ديوان محمد حبيب العبيدي (ذكرى حبيب) تحقيق المرحوم (احمد قاسم الفخري).
٢. محمد حبيب العبيدي حياته وشعره، رسالة ماجستير تقدم بها خليل ابراهيم السامرائي.
٣. قـراءة فـي فكـر الشـيخ المفتـي محمـد حبيـب العبيـدي كتـاب أعـده السـيد نبيـل حامـد خضر (٧٥٤صفحة).
٤. مؤلفات العبيدي المنشورة (حبل الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الإسلام) و (كتاب جنايات الانكليز على البشر عامة وعلى المسلمين خاصة) و(كتاب النواة في حقول الحياة) و(كتاب الفتوى الشرعية في جهاد الصهيونية)و (كتيب خطبة نادي الشرق)و(الجزء المطبوع من كتاب الميزان بين الكفر والايمان)و (كراسة النصح والارشاد لقمع الفساد) و أوراق المفتي العبيدي.
٥. شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام النحوي.
٦. علماء الموصل، احمد محمد المختار.
٧. شعراء الثورة العراقية، خضر العباسي
٨. سحر الشعر، روفائيل بطي.
٩. جريدة البلاد العدد (٣١)

قائمة بالدواوين التي يحوز عليها الباحث محمد توفيق الفخري

١. ديوان السيد محمود (امين الفتوى) بن محمد امين الفخري ويتألف من:
   أ. قصيدة من ١٠٠٠ بيت في الفقه الحنفي والموسومة العقد النضيد.
   ب. أرجوزة نظم الغرر في فرائض الدرر. في علم الفرائض يقوم بتحقيقها من الناحية الشرعية طالب الماجستير (طارق فرج) من كلية الشريعة –جامعة تكريت مؤلفة من ٢٢٣ بيت.
   ج. ارجوزة نظم التهذيب في علم المنطق تشتمل على ٢٦٧ بيت
   د. قصيدة في الحب الالهي مؤلفة من ٦٥ بيت
   هـ. مقاطيع شعرية ودو بيتات في المناسبات.
٢. ديوان السيد احمد محمود الفخري والمشتمل على ٢٤٠ صفحة (مخطوط من الحجم الكبير).

٣. ديوان السيد عبد الله بك بن محمد امين بك آل ياسين افندي المفتي الدراجي بضمنه بديعيته التي نشرتها في مجلة (مناهل جامعية).
٤. ديوان السيد محمد ياسين بك بن محمد امين بك آل ياسين افندي المفتي ويحتوي على قصائد عديدة
٥. ديوان المرحوم الشيخ محمد علي بن الشيخ عبد الله افندي الفخري مع ستة مجاميع خطية.
٦. مقاطع متفرقة من قصيدة المرحوم محمد حبيب العبيدي الطويلة الموسومة (على مسرح الدهر ماذا رأيت)
٧. جميع دفاتر و أوراق ورسائل المفتي العبيدي والتي يستطيع الباحث المتخصص الاستزادة في البحث في ادب ونثر العبيدي.

Dhad language in the heritage of Mufti Al-Ubaidi

Muhammad Tawfiq Al-Fakhry

Abstract

The construction of any civilizational renaissance and its maintenance are requirements for its success and permanence, the first of which is to search for solid foundations that can be built upon and the first foundations for preserving the Arabic language and maintaining it from Westernization is mastery of what came in the Holy Qur'an from the verses of courts and controlling the meanings of its vocabulary and its expression and what was mentioned in the words of the Arab Prophet Quraishi from the hadiths Sharifa, who is the authentic Arab who learned the Arabic language in the desert and from the mouths of the people of Quraish in their language and correct accent, then build on what was established by the imams of this religion from those who mastered the Arabic language before they interpreted the verses of the Holy Qur'an and collected them for the Sahih from the noble hadiths and fulfilled them. The Arabic language has a close connection in the Islamic religion, it is the language of the Holy Qur'an and Hadith, the instrument of challenge and miracle, the tongue of the call and the caliphate, and the care for it by the word of God and its intolerance is an intolerance to the language of the Holy Prophet.